ملامح الميتاسرد في كتاب المستطرف من كل فن مستظرف

أ.م.د. بشائر امير عبد السادة
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ العراق

Features of Meta-Narration in the Book "Al-Mustatraf min Kull Fann Mustazraf"

Asst. Prof. Dr. Bashaer Amir Abdul-Sada
University of Babylon\ College of Education for Human Sciences\ Iraq
alftlawybshayr@gmail.com

Abstract

This research seeks to uncover the features of metanarrative in Shihab al-Din al-Abshihi's *Al-Mustatraf min Kull Fann Mustazraf*, drawing on its encyclopedic value and the author's critical awareness, evident in the organization of its chapters and his analytical commentaries, which transcend traditional narrative. Metanarrative is considered a narrative technique that reveals the mechanisms of the story and deconstructs its structure, whether through the narrator's intervention or through narrative embedding.

The study's significance lies in highlighting an early narrative practice in the Arab tradition, demonstrating a remarkable experimental awareness of storytelling tools. The research is divided into two parts: a theoretical section, presenting the concept of metanarrative; and an applied section, examining its manifestations in al-Abshihi's intervention, his use of narrative embedding, and his awareness of the story's structure and nature.

Keywords: Metanarrative, the unusual, inclusion, the tale.

الملخص

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن ملامح الميتاسرد في كتاب المستطرف من كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبشيهي، انطلاقًا من قيمته الموسوعية ومن وعي مؤلفه النقدي الذي يتجلى في تنظيم أبوابه وتعليقاته التحليلية، بما يتجاوز السرد التقليدي.

والميتاسرد تقنية سردية تكشف آليات الحكاية وتفكك بنيتها، سواءً من تدخل السارد او عبر التضمين الحكائي.

وتكمن أهمية الدراسة في ابراز ممارسة سردية مبكرة في التراث العربي، تدل على وعي تجريبي لافت بأدوات الحكي، وقد انقسم البحث إلى قسمين: نظري، يعرض مفهوم الميتاسرد؛ وتطبيقي، يرصد تجلياته في تدخل الأبشيهي، وتوظيفه التضمين الحكائي، ووعيه ببنية الحكاية وطبيعتها.

الكلمات المفتاحية: ميتاسرد، المستطرف، التضمين، الحكاية.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

القسم النظري:

- **مفهوم الميتاسرد في النقد الغربي:**

شهدت الدراسات السردية الحديثة، لا سيما مع ظهور تيارات ما بعد الحداثة، تحولات مفهومية ومنهجية عميقة، تمثلت في ظهور مفاهيم جديدة تشتغل على بنية النص ووعيه بذاته، ومن أبرز هذه المفاهيم مفهوم الميتاسرد، الذي ارتبط بالسرديات الحديثة والمعاصرة بوصفه تقنية واستراتيجية سردية تعكس وعي النص بسرديته، وتكشف عن اشتغال النص على مساءلة بنيته من الداخل.

وقد أسهم عدد من أبرز النقاد الغربيين في بلورة هذا المفهوم وتطويره، كلٌّ من زاويته النظرية والمنهجية، فقد عُدّ الناقد روبرت شولز (Robert Scholes) من أوائل الدارسين الذين قدموا تنظيرًا واضحًا لمفهوم الميتاسرد ضمن كتاباته النقدية، فقد وصف شولز الميتاقص هو تجلٍّ لتوجهات النقد داخل العملية السردية ذاتها، وهو ينزع إلى الإيجاز، لأنه يحاول تفنيد انظمة السرد او التعالي عليها وهذا لا يتحقق الا عبر القص ذاته[١]، ويؤكد شولز بذلك على ارتباط الميتاسرد بالشكل الحكائي الداخلي بوصفه أداة لتفكيك السرد وإعادة بنائه.

وقد أضافت ليندا هتشيون (Linda Hutcheon) بُعدًا نقديًا مهمًا للمفهوم، حين ربطته مباشرة بوعي الرواية، قائلة: ((الميتاسرد هو رواية عن الرواية، أي الرواية التي تتضمن تعليقًا على السرد وهويته اللغوية))[٢]، ويرتكز تعريف هتشيون على أن النص الميتاسردي ينشغل بتأمل هويته اللغوية والحكائية في آن، ويجعل من هذا التأمل موضوعًا سرديًا ضمن بنيته الداخلية.

وجاء جيرار جينيت (Gérard Genette) ليقدّم في كتابه (خطاب الحكاية) تصورًا بنيويًا للميتاسرد، معرفًا إياه بـ(الحكاية ضمن الحكاية)، ويرى جينيت أن الحكاية ترتبط بعلاقات مهمة منها: التكرار أو التعارض، وتُعدّ أهمية الفعل السردي هي الجوهر في هذه العلاقات[٣]، ويعكس هذا التعريف انشغال جينيت بتحليل البنية الداخلية للحكي، وتركيزه على موقع الفعل السردي داخل النص.

أما جان فرانسوا ليوتار (Jean-François Lyotard)، فقد قدّم قراءة فلسفية-أيديولوجية للمفهوم في كتابه (الوضع ما بعد الحداثي)، مفضلاً استعمال مصطلح الميتا-حكاية (Meta-narrative) على مصطلح الميتاسرد، وقام بتمييز الحكاية الكبرى، بوصفها سردية شمولية سائدة في الحداثة، عن الحكاية الصغرى التي تمثل الابتكارات الجزئية والمعارف العلمية[٤]، وعرّف الميتا-حكاية بأنَّها مجموعة القواعد التي تُحدد شرعيةَ أنماط معينة من الحكي، فهي تُزود المتلقي بمعايير تُعينه على إصدار الأحكام على الأشياء، و تُسهم في إضفاء طابع الشرعية على الأفكار الفردية والبيانات[٥]، وهكذا ارتبط المفهوم عند ليوتار بانتقاد السرديات الكبرى وسلطتها على تشكيل المعرفة.

اما ستانلي فوجل (Stanley Vogel) فقد وسّع مفهوم الميتاسرد ليشمل التفكيك الداخلي لبنية الرواية ذاتها، قائلاً: تقتضي ما وراء الرواية بحثا نقديا في نظرية التخييل الروائي من داخل الخطاب الروائي ذاته، فكتاب ما وراء الرواية يتفحصون جميع أوجه الهياكل الأدبية، اللغة، واعراف الحبكة والشخصية، والعلاقة بين المبدع ونصه

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

وقارئه[٦]، ويبرز في تعريف فوجل البُعد النقدي الذاتي للنص الروائي، بوصفه وسيلة لتحليل أدواته الداخلية من داخل النص نفسه.

أما الناقد جيرالد برنس (Gerald Prince) فقد قدم تعريفًا لغويًا–سرديًا دقيقًا للمفهوم، إذ وصف الميتاسرد، بانه خطاب عن السرد نفسه، هو (سرد واصف للسرد)[٧]، وفي كتابه (قاموس السرديات)، أشار برنس إلى أن الميتاسرد يحيل على نفسه، وينعكس على ذاته، ويتأمل بنيته الداخلية وعناصره، ويشكل وحدات سردية تشير إلى الشفرات التي يُبنى عليها السرد [٨] ومن ثم، أرسى برنس تصورا منهجيا يجعل من الميتاسرد أداة تقنية تسمح للنص بالتعليق على نفسه وتحليل مكوناته من الداخل.

مما سبق نجد ان مفهوم الميتاسرد في النقد الغربي كشف عن تطور تدريجي في الرؤية إلى هذه التقنية السردية، فقد بدأت بوصفها وعياً سردياً داخلياً ببنية الحكاية نفسها، وأشار شولز وهتشيون، ثم تطورت مع جينيت في إطار التحليل البنيوي للحكي، وصولاً إلى قراءة ليوتار الأيديولوجية، التي أكدت البُعد النقدي لما وراء الحكاية في تفكيك السرديات الكبرى، ومع فوجل وبرنس، اتخذ المفهوم طابعًا تقنيًا شاملاً بوصفه أداة لتحليل الهياكل السردية من داخل النص نفسه.

وعليه، يُمكن القول إن الميتاسرد في النقد الغربي يُعدّ من أهم تجليات وعي السرد بذاته في إطار ما بعد الحداثة، إذ صار النص السردي فضاء نقديا يتأمل فيه ذاته، ويعيد انتاج وعيه الخاص ببنيته وعلاقته بالمتلقي.

- **مفهوم الميتاسرد في النقد العربي**

من قراءة تصورات النقاد العرب لمفهوم الميتاسرد، نلحظ تباين الرؤى وتعدد الزوايا التي تناول بها كل ناقد هذا المصطلح، فقد رأى محمد عز الدين التازي أن الكتابات القائمة على الميتاسرد تتأسّس علاقتها بوصفِها لعبة نصيةً بين الكاتب الضمني، الذي يتجلى في صورة مؤلف سارد، وبين القارئ الضمني الذي يتخيله النص ويستحضِرُه ضمن أفق تلقيه، إذ يكشف أمامَه لعبة الكتابة وآليّات تشكلها، مُحولًا فعل السرد إلى مساحة تفاعل تأويلي تتبادَل فيها الأدوار والرؤى[٩]، ويركز التازي على البُعد العلاقاتي بين الكاتب الضمني والقارئ الضمني، ويصف الميتاسرد بانها طريقة تفكير الرواية في ذاتها وتساؤلها عن عناصرها البنيوية، مما يجعله ينظر للميتاسرد بوصفه نمطًا تأمليًا داخل النص السردي[١٠].

اما سعيد يقطين فيعرّف الميتاسرد بوصفه ظاهرة سردية تتحقق من ((الوعي الذاتي الذي ينطلق منه الكاتب في إنتاجه الروائي، وعبر هذا الوعي يمارس الحكي كإبداع من خلال ترابطه بنقد يتم على الحكي نفسه؛ أي إن الروائي لم يبق ذلك الذي ينتج قصة محكمة البناء، ولكنه أيضًا، من خلال إنتاجه إياها، ينتج وعيًا نقديًا يمارسه عليها أو على الحكي بصفة عامة))[١١]، ينحاز إلى تصور الميتاسرد بوصفه نتاجًا لـ الوعي الذاتي للكاتب، ويعده مظهرًا من مظاهر النقد الذاتي داخل النص، إذ يصبح الروائي ناقدًا مضمّنًا ضمن سيرورة السرد، وهو تركيز يختلف عن التازي بانحيازه إلى الكاتب أكثر من القارئ.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

من جهته، يرى فاضل ثامر أن الميتاسرد يتجلّى عبر الوعي الذاتي المقصود في الكتابة القصصية أو الروائية في اشتغال النص على فعل الكتابة ذاته، سواء عبر السعي إلى إنجاز عمل كتابي، أو تتبّع مخطوطة أو مذكّرات مفقودة، إذ يعمد الراوي أو البطل في الغالب إلى الإفصاح عن اهتمامات جمالية ومعرفية تتصل بضوابط الكتابة، بما في ذلك تأمّل طبيعة الكتابة الروائية وحدودها وإمكاناتها(١٢)، قدم الناقد فاضل ثامر تعريفًا عمليًا أقرب إلى البعد الوظيفي والتطبيقي للميتاسرد، مبرزًا حضوره في البحث عن المخطوطات أو الكتابات المفقودة، واشتغال الراوي على شروط الكتابة ذاتها، في نوع من استبطان العملية السردية.

اما منصور البلوي فيذهب إلى أن تقانة الميتاسرد تحيل، في مفهومها العام، إلى وعي الخطاب السردي بذاته، وإلى اعترافه بطبيعته المتخيلة ومساءلتها على نحو صريح وهي، بذلك، تنهض على تقويض بنية الإيهام بالواقعية عبر تعرية آليات التخييل وكشف صناعته، عبر حضور المؤلف داخل النص بوصفه ذاتا حاكية ومحكيا عنها في آن معا، الأمر الذي يعيد تشكيل العلاقة بين النص ومتلقيه، ويحول السرد إلى فضاء تأمل في شروط إنتاجه وطرائق تلقيه (١٣). ولهذا يرى أن الرواية الميتا سردية تمثّل انعطافا تأمليا ينشغل فيه الروائي بالسرد ذاته، ويعيد فحص آليات التأليف، وشروطه، فتغدو الكتابة فعل قلق خلاق يعكس في جوهره قلق المجتمع الجديد وأزماته(١٤)، وهو بهذا يتفرد بتركيز إضافي على وظيفة تقويض بنية الإيهام بالواقعية من (الإطلالة الصريحة للمؤلف)، مع ربط الميتاسرد بـ قلق الكتابة المعاصر، وعلاقته بتحولات المجتمع، ما يجعله يُسقط البُعد السردي على إشكاليات اجتماعية أوسع.

فيما قدّم جميل لحمداني تعريفًا أكثر تفصيلًا للميتاسرد، إذ وصفه بانه خطاب فوق–سردي يتجاوز الحكاية إلى مساءلة فعل الإبداع ذاته، من منظور نظري ونقدي، إذ يهتم بتقصّي عوالم الكتابة في أبعادها الواقعية والتخييلية، وتحليل طرائق البناء السردي وآليات تشكّل المتخيَّل الحكائي، ويسلّط الضوء على صعوبات الحرفة السردية، ويرصد انشغالات المؤلفين السرديين وهواجسهم الواعية وغير الواعية، ولا سيما تلك المتصلة بطبيعة الأدب ووظيفته، فضلًا عن الكشف عن الإشكالات التي تعترض المبدعين وكتّاب السرديات بوجه عام(١٥).

وقد حدد لحمداني وظائف الميتاسرد في ثماني عشرة وظيفة، من أبرزها: تقصي التجارب الإبداعية ومجالات تأثيرها؛ توليد نص متعدد االطبقات الصوتية والمضامين الفكرية؛ فضح اللعبة السردية وكشف آلياتها الفنية والجمالية أمام المتلقي؛ نقض وهم الواقعية بما يعزز وعي المتلقي النقدي؛ شرح الإبداع السردي وتفسيره وتنظيمه والتعليق عليه؛ تفعيل البعد النقدي داخل بنية النص على المستويين التنظيري والتحليلي؛ وأخيرًا، تحويل الكتابة والقص والسرد إلى موضوع للسرد ذاته(١٦)، وهو بهذا قدّم أوسع تعريف وظيفي للميتا سرد، واهتم بتعداد وظائفه التفصيلية التي جعلت من الميتاسرد نوعًا من النقد الداخلي المنظّم، يُمارَس في صلب النصوص السردية، مع جعله أداة للتجريب والتحديث.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

وعلى الرغم من تباين الطروحات التفصيلية، إلا أن هنالك شبه إجماع بين النقاد على أنّ الخاصية الأساسية للميتاسرد تمارس حضورها عبر ثنائيتين مركزيتين هما:

((ثنائية الكتابة / القراءة؛ حيث يقوم الروائي بكتابة النص الذي يتمكّن السارد من خلاله من تقديم قراءة نقدية للرواية وقضاياها وإشكالياتها مستعرضًا خلال ذلك إنتاجها ومنتجيها، وثنائية الواقع / الخيال، التي يتم من خلالها تحطيم حالة التخييل والإيهام بالواقعية التي كان القارئ معتادًا على وجودها في النص الروائي، وهو ما سيؤثر بشكل ملحوظ في أفق التوقع لديه))[١٧].

وايضا نجد، ان كل من محمد عز الدين التازي وسعيد يقطين وفاضل ثامر وجميل لحمداني يتفقون على أن الميتاسرد نوع من التفكير في الكتابة داخل الكتابة نفسها؛ أي أن النص يكشف آلياته ويوجه وعي القارئ إلى عملية التخييل والتأليف بوصفها موضوعًا سرديًا في حد ذاتها.

ونلحظ وجود تركيز مشترك على عنصر الاعتراف بالمتخيّل ومسائلته، سواء عند البلوي أو التازي، مع الإشارة إلى حضور المؤلف بوصفه صانعًا متداخلًا مع العالم السردي.

وقد اشار أغلب النقاد إلى أن الميتاسرد لا يسعى لتقديم حبكة تقليدية محكمة بقدر ما يهتم بإبراز العلاقة المعقدة بين السارد والقارئ، وبين الواقع والمتخيّل.

وايضا اتفق الجميع تقريبًا على أن الميتاسرد يُعد أداة لتقويض الإيهام بالواقعية، وإشعار القارئ بأن النص الروائي ليس مرآة لعالم واقعي، بل هو عالم متخيّل قائم على التلاعب السردي الواعي.

القسم التطبيقي:

ملامح الميتاسرد في كتاب المستطرف

اولا: تدخل الأبشيهي وكشف آليات السرد:

- **الميتاسرد في مقدمة كتاب المستظرف:**

يكشف الأبشيهي في مقدمته لكتاب المستطرف في كل فن مستظرف عن وعيٍ سرديٍّ واضح يتجاوز نقل الحكايات إلى التأمل في صيرورة إنتاجها، مما يجعلها حقلًا مناسبًا للتطبيق، فالمؤلف يُظهر ذاته صراحةً كفاعلٍ حكائي يُشرف على جمع المتن وتنظيمه وتقديمه، وهو ما يُشكّل ضربًا من الوعي بالسرد داخل السرد.

١: حضور المؤلف بوصفه صانعًا ومنظّمًا

قال الابشيهي في مقدمة الكتاب:((وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف، وجعلته مشتملا على كل فن ظريف، (وسميته المستطرف، في كل فن مستظرف) واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم، وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم، وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الأخيار، ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد) ورجوت أن يجد مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد، وجمعت فيه لطائف وظرائف عديدة، من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة، وأودعته من

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

الأحاديث النبوية، والأمثال الشعرية، والألفاظ اللغوية، والحكايات الجدية، والنوادر الهزلية، ومن الغرائب والدقائق، والأشعار والرقائق، ما تشنف بذكره الأسماع وتقر برؤيته العيون، وينشرح بمطالعته كل قلب محزون))[١٨].

يكرر الأبشيهي استعمال الافعال التي تكشف تدخله المباشر في تشكيل الكتاب، مثل: (جمعتُ، جعلته، سميته، طرّزته، نظّمته، فصلته)، ما يدلّ على وعيه بدوره المركزي في بناء الكتاب، لا بوصفه ناقلًا للخبر فحسب، بل كراوٍ عليم يصوغ نصًا سرديًا بترتيب مقصود وتنسيق محدد، و يشير إلى مصادره التي استلهم منها مادته الحكائية، مثل كتابي: ربيع الأبرار والعقد الفريد، ليُظهر بذلك جانبًا من صيرورة التأليف، أي الكيفية التي تشكل بها الكتاب عبر انتقاء وتوليف نصوص سابقة، وهذا الإفصاح عن مصادر المادة الحكائية فعل ميتاسردي يكشف للقارئ خلفية النص وسيرورة إنتاجه.

٢: كشف بنية الكتاب وآلية ترتيبه (بوصفه فعلا واعيا)

قال الابشيهي: ((وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من أحسن الفنون، متوجة بألفاظ كأنها الدر المكنون، كما قال بعضهم شعرا في المعنى:

ففي كل باب منه درّ مؤلف... كنظم عقود زيّنتها الجواهر

فإن نظم العقد الذي فيه جوهر على غير تأليف فما الدرّ فاخر وضمنته كل لطيفة، ونظمته بكل ظريفة، وقرنت الأصول فيه بالفصول، ورجوت أن يتيسر لي ما رمته من الوصول. وجعلت أبوابه مقدمة، وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة، ليقصد الطالب إلى كل باب منها عند الاحتياج إليه، ويعرف مكانه بالاستدلال عليه، فيجد كل معنى في بابه إن شاء الله تعالى والله المسؤول في تيسير المطلوب، وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير))[١٩].

يُصرّح الأبشيهي في هذا النص بأنه جعل كتابه مشتملًا على أربعة وثمانين بابًا موزعة ومُرتبة على وفق خطة واضحة:

(وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابًا [...] فصلتها في مواضعها مرتبة منظمة، ليقصد الطالب إلى كل باب منها عند الاحتياج إليه).

هذا الوصف المباشر لبنية الكتاب يعكس وعيًا تأليفيًا يتجاوز الحكاية إلى تصميم المتن نفسه، وهو يُقارب ما يُعرف في الدراسات السردية المعاصرة بالميتاسرد البنيوي؛ فالسارد يُلفت نظر القارئ إلى البنية التنظيمية للنص بوصفها مكوّنًا يُدرك من داخل النص ذاته.

٣: البُعد التأليفي الجمالي:

ومن الامور الاخرى التي نلحظها في المقدمة ان الأبشيهي يعرض كتابه بوصفه منتجًا جماليًا مقصودًا، وذلك عبر تشبيه ألفاظه بـ(الدر المكنون)، وابوابه بـ(عقود الجواهر)، مؤكدًا بذلك وعيه بالاشتغال الجمالي على النص، لا على مضمونه فحسب.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

هذا الوعي بوظيفة الصياغة نفسها، وتوضيحها في المقدمة، يمثل جانبًا من الميتاسرد الجمالي الذي يستعرض فيه الكاتب أفقه الفني من داخل النص.

٤: توقع التلقي وتعليق المؤلف على نصه

يعترف الأبشيهي عبر مقدمته بإمكانية وجود خلل في عمله، ويطلب من القارئ أن يلتمس له العذر، بقوله: ((وأن يلهم الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب))(٢٠).

هنا يحدث تحول في السرد من مجرد عرض الحكايات إلى تأمل في فعل الكتابة ذاته وموقف المتلقي منه، ما يمثل بُعدًا ميتاسرديًا تأمليًا يربط بين المؤلف والقارئ، ويجعل من النص بنية مفتوحة على النقد والتعديل.

ومن ذلك، يتضح أن مقدمة كتاب مثلت مساحة عرض فيها الأبشيهي وعيه التأليفي وآليات جمع الحكايات وصياغتها، وكشف عبرها عن ذاته بوصفه مؤلفا مشاركا في صناعة المتن لا مجرد ناقل له، وهو بذلك حقق أنماطًا متعددة من الميتاسرد شملت: الميتاسرد البنيوي، والتأليفي، والجمالي.

وبذلك، يمكن وصف مقدمة الأبشيهي مثالًا مبكرًا على الوعي السردي في التراث العربي القديم.

- **التعليق على الحكاية كمادة مختارة، الميتاسرد في النصوص المروية: ومن امثلة ذلك قوله:**((ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختاما هو أوجزها كلاما، وأحسنها نظاما، وأبينها حكما وإحكاما، وهي قضية جمعت الأمرين: وفاء وغدرا، وعرفا ونكرا، وخيرا وشرا، ونفعا وضرا، واشتملت على حال شخصين أحدهما وفى بعهده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا، وغدر الآخر، فلم يجد له من جزاء غدره إلى النجاة فرجا، ولم يلق له من ضيق الغدر مخرجا.

وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم، وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون عارفا بأموره عالما بوروده وصدوره، فقال ما معناه: إن أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا، فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم))(٢١).

يتضمن هذا النص تدخلات صريحة من المؤلف (الأبشيهي)، سواء في بنية السرد أو في تفسيره والتعقيب عليه، وسنحاول تقسيم النص لتسهيل عملية تحليله وبيان توظيف الكاتب للميتاسرد فيه:

١: الميتاسرد في التقديم إلى الحكاية

((ولنجعل لهذا الباب من القضايا ختامًا هو أوجزها كلامًا، وأحسنها نظامًا، وأبينها حكمًا وإحكامًا...))، نلحظ هنا ان هذا المقطع ليس جزءًا من الحكاية، بل مقدمة تفسيرية يضعها المؤلف بنفسه قبل البدء بالسرد، فالمؤلف هنا لا يسرد الحكاية مباشرة، بل يُدخل القارئ في أفق انتظار محدد، مُعلنًا أن ما سيأتي يمثل ذروة العبرة وانموذجًا للحكمة، وهذا ميتاخطاب سردي واضح، إذ يتدخل السارد للتعليق على النص قبل سرده.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

٢: التصنيف الأخلاقي قبل السرد

ففي قوله: ((وهي قضية جمعت الأمرين: وفاءً وغدرًا، وعرفًا ونكرًا، وخيرًا وشرًا، ونفعًا وضُرًّا...))، نلحظ وصفًا مسبقًا للأحداث قام به المؤلف خارج الزمن السردي، إذ قدّم الأبشيهي الحكاية من موقع العارف بنهايتها، وحمّلها منذ بدايتها معاني أخلاقية مزدوجة (الخير/الشر – الوفاء/الغدر)، هذا توجيه استباقي للقارئ، مما يكسر حيادية السرد، ويمارس تأثيرًا تأويليًا مباشراً عليه.

٣: التقييم الشخصي للشخصيات

قال الابشيهي: ((الجارية الخاسرة الخائنة الخائبة الغادرة العائبة العاهرة الفاسقة الفاجرة))[٢٢]، تضمن هذا النص توصيفًا لا يصدر عن شخصية داخل السرد، بل عن الراوي نفسه، فصوته واضح في التهجم على إحدى شخصيات الحكاية، و يعد هذا الوصف تقييم قيمي مباشر، مثّل تدخلاً مباشرًا من المؤلف في النص، مما كشف عن مرجعيته الأخلاقية والدينية.

٤: البناء المنطقي للعبرة

نلحظ في قوله: ((فاز ونجا وحاز من مقترحات مناه ما أمل ورجا، وغدر الآخر فلم يجد له من جزاء غدره إلى النجاة فرجا...))، خلاصة سبقت الحدث ولم تلحقه، فالسارد أطّر النتيجة مسبقًا، وجعل من القصة مجرد تطبيق عملي لمثال أخلاقي، وهذا من خصائص الميتاسرد في الأدب العربي التقليدي: أن يُستعمل السرد _في الغالب _ كوسيلة لإثبات حكم مسبق، لا لاكتشاف المعنى تدريجيًا.

٥: التعريف بالمصدر داخل النص

((وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم، وكان مطلعًا على أحوال أحمد بن طولون...))، يبرز هنا تدخل خارجي يُشير إلى مصدر الحكاية، فالسارد يعي أنه ينقل عن سارد آخر، ويُظهر سنده، لكنه مع ذلك يسيطر على السرد ويعيد تأطيره ضمن رؤيته، وهذا أحد أشكال الميتاسرد التاريخي أو التوثيقي.

يكمل الابشيهي النص قائلا: ((فكبر عليها إعراضه عنها، ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها، دخلت على الأمير وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها، وأعلنت بالبكاء بين يديه لإتمام كيدها ومكرها، وقالت:

إن أحمد اليتيم راودني عن نفسي.

فلمّا سمع الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبا، وهمّ في الحال بقتله، ثم عاوده حاكم عقله، فتأنى في فعله، واستحضر خادما يعتمد عليه، وقال له: إذا أرسلت إليك إنسانا ومعه طبق من ذهب، وقلت لك على لسانه املأ هذا الطبق مسكا، فاقتل ذلك الإنسان واجعل رأسه في الطبق، وأحضره مغطى، ثم إن الأمير أبا الجيش جلس لشربه، [و] قال يا أحمد: خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم، وقل له يقول لك أمير المؤمنين املأ هذا الطبق مسكا.

فأخذه أحمد اليتيم ومضى، [...]، فرأى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية، فأعطاه الطبق، وقال له: إمض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير إملأ هذا الطبق مسكا، فمضى ذلك الفراش إلى الخادم، فذكر له ذلك، فقتله، وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق، وأقبل به، فناوله لأحمد اليتيم، فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر، فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال: ما هذا؟ فقص عليه خبره...))[٢٣].

ثم يعلق الابشيهي قائلاً: ((فانظر رحمك الله إلى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب، وتنجي من قبضة التلف بعد إمضاء القواضب، ويفضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب، فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده، وهو بشر مثله، وليس في الحقيقة بعبده، واطلع الله عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده، فإذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطاف مواهب بره ورفده ويفتح له من أنواع رحمته وأقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده، وقالوا: ليس شيء أوفى من القمرية إذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه إلى أن تموت. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين))[٢٤].

مثّلت هذه الحكاية انموذجًا سرديًا تقليديًا تقاطعت فيها الحيلة بالحكمة، غير أنها تجاوزت البنية الخبرية البسيطة لتكشف عن تدخلات سردية من قِبل المؤلف، إذ تداخل صوت السارد (الأبشيهي) مع الحكاية عبر التعليق، التفسير، والتأمل الأخلاقي والديني.

١: **مواضع الميتاسرد في النص وتحليلها:** تتجلى هذه المواضع فيما يلي:

- فانظر رحمك الله إلى آثار الوفاء...، ظهر هنا تعليق مباشر خاطب القارئ بأسلوب وعظي، مؤكدًا الغرض الأخلاقي من القصة.
- فهذا الغلام لما وفّى لمولاه...، تضمن تأويلا أعاد تأطير الشخصية من زاوية أخلاقية، متجاوزًا السرد إلى التحليل القيمي.
- وهو بشر مثله، وليس في الحقيقة بعبده،برز فيه نقدا اجتماعيا فكك علاقة السيد بالخادم، مقدمًا رؤية تنقض منطق العبودية وتؤسس لفكرة التفوق الأخلاقي.
- فإذا كان العبد مع خالقه وافيا...، فيه تأمل ديني أقحم السارد عبره موقفًا دينيًا مباشرًا حوّل الحكاية إلى عظة إيمانية.
- وقالوا: ليس شيء أوفى من القمرية...، كشف عن إدراج ثقافي جند الحكمة الشعبية لتأكيد العبرة.
- والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب...، أنهى النص بختام تقويمي مؤكدًا الطابع الميتاسردي للنص بوصفه حكاية تعليمية دينية.

٢: **الوظائف النقدية للميتاسرد في النص:** يؤدي الميتاسرد في هذا النص عددا من الوظائف النقدية المتداخلة، ومن أهمها:

- الوظيفة الأخلاقية: عبر توجيه القارئ إلى فضيلة الوفاء.
- الوظيفة التأويلية: تمثلت في تأطير الحدث ضمن سياق أوسع من الحكاية الفردية.
- الوظيفة الاجتماعية: نقد النظام الطبقي عبر تجاوز تصنيف (العبد).
- الوظيفة الدينية: ربط مصير الشخصية بإرادة إلهية عُليا.
- الوظيفة الثقافية: توظيف الأمثال الشعبية كمؤيد سردي.

٣: **أثر الميتاسرد في بنية النص**: ظهر توظيف الميتاسرد في النص عبر:

- كسر الإيهام السردي: حين يخاطب الأبشيهي القارئ بـ(رحمك الله)، يخرج عن الحكاية ليخلق مسافة تأملية.
- تعميق الرؤية القيمية: الحكاية لا تُروى لذاتها، بل لتحقيق هدف أخلاقي.
- تأكيد حضور المؤلف: المؤلف ليس غائبًا، بل موجهًا ومفسرًا ومعقبًا.
- تجلى الميتاسرد في هذا النص بوصفه أداة جمالية وخطابية استعملها الأبشيهي لتحقيق التكامل بين السرد والتعليم، وبين الخبر والموعظة، مستثمرًا تقنيات الحكواتي، والمفسر، والواعظ. مما يكسب النص أبعادًا معرفية تجاوزت المتعة الحكائية إلى بناء القيم وتشكيل الوعي الثقافي والديني.
- المقدمات والتدخلات مهدت لحكم سيصدر لاحقًا في نهاية القصة، يُراد له أن يكون درسًا عامًا في: الوفاء والخيانة، الجزاء العادل، عدالة الأمير وذكاء أحمد اليتيم.

مما يدل على أن المؤلف صاغ الحكاية كأداة تأديبية تعليمية، لا كحكاية محايدة، فالمؤلف لا يكتفي بالسرد، بل يُمارس نوعًا من السلطة التأويلية على النص، تجعله يتداخل مع أفق المتلقي ويوجهه نحو معنى محدد، تمثّل: بأن الوفاء سبيل النجاة والغدر طريق الهلاك.

ثانيًا: تجليات الميتاسرد في كتاب المستطرف: الحكاية داخل الحكاية (التضمين الحكائي)

ومن ما رواه الابشيهي: ((ومن سقطات الشعراء: ما قيل: ان أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقط، روي أنه لقي محمد بن مبادر بمكة، فمازحه وضاحكه، ثم إنه دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة في كل سنة، وأنا أقول في كل سنة مائتي قصيدة، فأدخله الرشيد إليه وقال: ما هذا الذي يقول أبو العتاهية، فقال: يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول:

ألا يا عتبة الساعة... أموت الساعة الساعة

لقلت كثيرا ولكني أقول:

ابن عبد الحميد يوم توفى... هدّ ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه... ما على النعش من عفاف وجود

فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم، فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا))[٢٥].

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

اظهر النص تقنية الميتاسرد عبر انكشاف عملية صناعة الشعر وتقويمه داخل الحكاية ذاتها، إذ لا تُروى القصة عن الشاعر بوصفها حدثًا منفصلًا عن وعي الحكي، بل جاءت مقترنة بتأمل في جودة القول الشعري، وانتقاد رمز من رموزه (أبي العتاهية)، ومن ثم تقديم معيار جمالي بديل على لسان شخصية داخلية (محمد بن مبادر)، وهنا، نلحظ تداخل مستويين للسرد:

- المستوى الأول (السرد الخارجي): تمثل في سرد لقاء أبي العتاهية بمحمد بن مبادر، ثم دخولهما على هارون.
- المستوى الثاني (السرد الداخلي/الحكاية داخل الحكاية): تمثل في استدعاء أقوال الشاعرين بوصفها وقائع شعرية يتم تذوقها وتقييمها من داخل النص نفسه، إذ ينشد ابن مبادر أبياته مع وعيه بمقارنتها بما قاله أبو العتاهية.

وهذا التشابك بين المستويين يوجد خطابًا ميتاسرديًا يتمثل في:

- التعليق الضمني على العملية الشعرية، وهنا تحولت الحكاية إلى مساحة نقدية، عرض فيها السارد حكاية فيه سخرية من وفرة الإنتاج مع قلة الجودة، وهو ما يعد نقدًا صريحًا لطبيعة الإبداع ذاته.
- استحضار أبيات الشعر داخل الحكاية بوصفها خطابًا داخل خطاب، إذ تتداخل القصائد مع المتن السردي لتصبح جزءًا من الصراع الدرامي (التباهي أمام الخليفة) وجزءًا من التعليق على قيمة القول الشعري.
- حضور السارد في الخلفية بوصفه ناقلًا لخبر مشكوك في موضوعيته (ما قيل: أن أبا العتاهية...)، وهذه الإشارة الاستهلالية تعيد المتلقي إلى وعي الخبر بوصفه مادة قابلة للتشكيك والتداول، لا كحقيقة سردية خالصة.

من ذلك، يمكن عدّ هذا النص انموذجًا مبكرًا لما يُعرف في النقد الحديث بـ(الحكاية داخل الحكاية)، إذ يتفكك المنتج الفني داخل المتن الحكائي نفسه، مما يُضفي عليه طابعًا ميتاسرديًا واضحًا.

ومن الامثلة الاخرى لتوظيف الميتاسرد ما ((جاء في كبوات الجياد وهفوات الأمجاد قال الأحنف الشريف: من عدت سقطاته، قلت عثراته، وقالوا: كل صارم ينبو، وكل جواد يكبو، وكان الأحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل، وقد عدت له سقطة وهو أن عمرو بن الأهتم دس إليه رجلا يسفهه فقال: يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه؟ قال: كان أوسطهم وسيدهم، ولم يتخلف عنهم، فرجع إليه ثانيا، ففطن أنه من قبل عمرو بن الأهتم، فقال: ما كان أبوك؟ قال: كانت له فتوة ومروءة، ومكارم أخلاق، ولم يكن أهتم سلّاجا))[٢٦].

يظهر الميتاسرد، عبر آلية التفكر في السقطة داخل السرد نفسه، ما يمكن وصفه تعليقًا سرديًا على مفهوم الهفوة كفعل لغوي وسلوكي داخل بنية الحكاية، ويتجلى ذلك عبر العناصر التالية:

أولًا: يروي السارد حكاية عن الأحنف بن قيس، تتضمن كشف (سقطة) نسبت إليه، على الرغم من شهرته بالحلم وسداد الرأي، في سياق تآمري دبّره عمرو بن الأهتم لإيقاعه في خطأ قولي، الحكاية لا تنقل الحدث فحسب،

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

بل تقدم تفكّرًا ضمنيًا في معنى (الهفوة) أو (السقطة) وأثرها، بوصفها ممكنة الحدوث حتى عند (الأمجاد) و(الجياد)، أي رموز الفصاحة والحكمة.

ثانيًا: وضوح مظاهر الميتاسرد في النص عبر:

– تسمية الحكاية نفسها بكبوة الجواد وهفوة الأمجاد:

إذ نلحظ قبل بدء الحكاية، يقدم السارد تمهيدًا نقديًا يعيد تأطير الحكاية ضمن منظور تأملي يتناول فكرة السقطة كمفهوم لا كواقعة معزولة، فالسارد هنا يمارس تعليقًا نقديًا على طبيعة الأحداث التي سيحكيها، ما يكشف عن وعيه بالعملية السردية نفسها، وهو ما يشكل ميتاسردًا تأطيريًا.

– الاقتباس المقدماتي بوصفه ميتاسردًا حكميًا:

إن استهلال النص بجمل مثل: (من عدّت سقطاته قلت عثراته)، و(كل صارم ينبو، وكل جواد يكبو)، ينشئ نوعًا من النظرية السردية المسبقة حول الخطأ، وهي آلية ميتاسردية تجعل الحكاية اللاحقة تطبيقًا عمليًا لهذه النظرية الأخلاقية–البلاغية.

– الوعي بالحكاية كإطار لتقييم الشخصية:

ذكر (السقطة) بوصفها فعلًا معيبًا وسط سجل من الفضائل يعيد بناء صورة الأحنف بن قيس كـ (نص سردي قيمي) يتم تحليله داخل المتن، وليس مجرد شخصية روائية تنقل أفعالها من دون تأمل.

السارد لا ينقل الوقائع فقط، بل يحدد سقطة واحدة وسط حياة مليئة بالحلم، ما يعكس ميتاسردًا تقويميًا موجّهًا للقارئ ليعيد التفكير في تقييم الشخصيات.

– الوعي بوساطة الحكاية:

حين يكشف السارد أن عمرو بن الأهتم (دس إليه رجلًا يسفهه)، فإنه لا ينقل الحدث فحسب، بل يكشف ماوراء إنتاج الحكاية ذاتها، إذ ان الهفوة ليست نتيجة تلقائية، بل فعل مدبّر، أي أن السرد نفسه يكشف عن صناعته.

ومن كل ماسبق، نجد ان النص يمارس ميتاسردًا تحليليًا وتأمليًا على مستويين:

١– على مستوى البناء السردي: عبر تأطير الحكاية داخل منظور نقدي مسبق عن الخطأ الإنساني، وهو وعي بالحكاية كأداة تفسيرية.

٢– على مستوى التلقي: بدفع المتلقي إلى التفكير في معنى الهفوة وأثرها داخل حيوات الشخصيات الكبرى، ليعيد تأويل الحدث السردي كمثال على النظرية السردية المقدمة سلفًا.

وبذلك يتحول النص إلى حكاية عن الحكاية؛ لا ينقل الوقائع فقط، بل يعرض عبرها تأملًا سرديًا ونقديًا عن الهفوة الإنسانية في ذاتها، بوصفها ظاهرة قابلة للفحص داخل المروي، وهو جوهر الميتاسرد.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

ثالثا: الوعي بنوع الحكاية وبنيتها

من الامثلة التي تكشف عن وعي تأليفي وادبي للابشيهي تصنيفه لاحد ابواب كتابه بعنوان: (الامثال السائرة وفيه فصول) قال: ((اعلم أن الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه، وحلّى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب الله تعالى، وهو أشرف الكتب المنزلة بكثير منها، ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، وهو أفصح العرب لسانا، وأكملهم بيانا، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل. وسنذكر إن شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة))[٢٧].

يكشف النص عن امور عدة من اهمها:

أولًا: الوعي بنوع السرد

يبدأ المؤلف هذا الفصل بتحديد دقيق لنوع الخطاب الذي سيورده، وهو الأمثال السائرة، لكنه لا يكتفي بالإشارة التصنيفية، بل يقدّم تأصيلاً بلاغيًا ودينيًا ونقديًا لهذا النوع، ما يدلّ على وعي عميق بوظيفة المثل بوصفه جنسًا تعبيريًا له مكانة خاصة في التراث.

قوله: (الأمثال من أشرف ما وصل به اللبيب خطابه) يكشف عن إدراك أن الأمثال ليست مجرد حكايات قصيرة أو عبارات دارجة، بل أدوات بلاغية رفيعة تُستعمل لتقوية القول والتأثير في المتلقي.

ثم يشير إلى شرعية المثل عبر القرآن الكريم والحديث النبوي، قائلًا: (وقد نطق كتاب الله ... ولم يخل كلام رسول الله ...)، مما يُضفي على هذا النوع السردي بعدًا دينيًا وبلاغيًا في الوقت ذاته.

ثم يصرّح بوضوح بنيّته: (وسنذكر ... نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة)، أي أنه سيعرض أمثلة مصنّفة حسب البيئات الثقافية والاجتماعية، ما يعني أنه يدرك تعدد مستويات المثل من ناحية الفصاحة والوظيفة والسياق.

ثانيًا: بنية الخطاب وخصائصه الميتاسردية

- تقديم تمهيدي تأليفي

النص يمهّد لما سيأتي من أمثال، ويمنح القارئ خلفية نظرية عن أهمية المثل، ويعلّق على وظيفته قبل عرض أي مثل، ما يشكل مستوى ميتاسرديًا تحليليًا؛ إذ ينشأ المؤلف وعيًا تجاه المادة التي سيقدّمها.

التقسيم النوعي للمادة:

- بقوله: (أمثال العرب والمولدين والعامة)، فإنه لا يعرض أمثلة مختلطة، بل يعلن مسبقًا عن تصنيف الطبقات الثقافية التي تم إنتاج الأمثال فيها، وهو وعي سردي– ثقافي يدل على مقدرة عالية على قراءة النص الشعبي والأدبي ضمن بيئته المنتجة.
- مراعاة التسلسل القرائي

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

قول المؤلف: (وفيه فصول) يشير إلى إدراكه أن تقديم المادة السردية يتطلب ترتيبًا فصليًا/موضوعيًا يسهل قراءته واستيعابه، وهذا البناء الواضح يعكس وعيًا ببنية المتن ككل، لا بالمادة الجزئية فقط.

ثالثًا: الوظيفة البلاغية للمثل بوصفها نمطًا سرديًا

- لا يتعامل الأبشيهي مع المثل على أنه قول مستقل فقط، بل ينظر إليه كجزء من السرد الثقافي العربي، ويضعه ضمن (الكتاب والخطاب) على السواء.
- الإشارة إلى أن المثل (يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل) تمنح هذا الشكل السردي مكانة تتنافس مع الأشكال الخطابية الكبرى كالشعر والخطابة، ما يدل على فهم عميق لدور المثل في إيجاز الحكمة وتكثيف المعنى.

من كل ما سبق نستدل على ان أن الأبشيهي لم يقدّم أمثاله بشكل عشوائي أو بوصفها توثيقًا شعبيًا فقط، بل صاغها ضمن رؤية سردية متكاملة تُدرك أثر النوع وقيمته البلاغية والاجتماعية.

ومن أبرز مظاهر الوعي بنوع الحكاية وبنيتها في كتاب المستطرف من كل فن مستظرف ما يصرّح به المؤلف عند تقديمه لبعض الأخبار والطرائف، من عناوين مباشرة أو عبارات تصنيفية تكشف عن إدراكه لطبيعة السرد الذي يقدمه، ومن ذلك قوله:(من نوادر المتنبئين)، وهو عنوان قصير لكنه يدعو القارئ إلى موقف قرائي ساخر، ويدخله إلى الحكاية وهو يتوقع الغرابة والدهشة، لا الموعظة أو الجدّ.

قال: ((تنبأ إنسان، فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب. قالوا: رضينا، فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت، فقالوا: هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة من عندنا ودعها تذوب، فقال: لستم بأجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى، ولم يقل فرعون لموسى لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانًا. فضحك المأمون وأجازه))[٢٨].

تحليل البنية السردية:

الحكاية مبنية على وفق انموذج سردي مقتضب تتكون عناصره من:

التمهيد: (تنبأ إنسان) – تقديم سريع للشخصية الغريبة.

الحدث: (طرح حصاة في الماء فذابت) – عنصر المفاجأة.

المفارقة: الرد الذكي المتذاكي المقارن بين الحيلة ومعجزة النبي موسى (عليه السلام) .

الخاتمة: ضحك المأمون – تحقيق الوظيفة الفكاهية للنادرة.

وتلك البنية تدل على إدراك المؤلف لخصائص النوادر بوصفها جنسًا أدبيًا ينماز بالسرعة، وخفة الظل، وبنهاية مفاجئة غالبًا ما تُحدث سخرية أو دهشة.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

الميتاسرد الضمني: نلحظ أن المؤلف لا يتدخل داخل الحكاية بتعليق أو توجيه مباشر، لكنه يمارس شكلًا من أشكال الميتاسرد الضمني عبر العنوان، واختيار الحدث الطريف، وإنهاء الحكاية بضحك المأمون، مما يمنح النص طابعًا ساخرًا ذا وظيفة ترفيهية واضحة، تُفهم ضمن وعيه بالسرد بوصفه تمثيلًا لا حقيقة.

يؤكد هذا النص أن الأبشيهي لم يكن مجرد ناقلٍ للحكايات، بل كان يصنّفها ويقدمها على وفق وعي دقيق بنوعها ووظيفتها، ويُعيد تشكيلها بطريقة تنفع بنية النوادر، فتأتي _ في الغالب_ قصيرة، مكثفة، مفارقة، وموجّهة للتسلية أكثر من التوثيق أو العبرة، وهو ما يجعله انموذجًا أصيلًا لاستثمار التراث في خطاب سرديّ واعٍ بذاته.

وفي نص آخر، قال الابشيهي في باب (نوادر السؤال): ((وقال أبو عثمان الجاحظ: وقف سائل بقوم فقال: إني جائع، فقالوا له: كذبت، فقال: جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم))[٢٩].

الوعي بنوع الحكاية: وردت الحكاية ضمن باب مصنّف بوضوح بعنوان (نوادر السؤال)، ما يكشف عن إدراك المؤلف لطبيعة الحكايات الواردة في هذا الباب، ويقدّمها للقارئ على أنها طرائف تتعلق بالسائلين والمتسولين، وهي شخصيات نمطية شائعة في أدب النادرة العربي.

هذا التصنيف المسبق يضع القارئ في أفق تلقي ساخر، ويمنع أي تفسير أخلاقي جاد أو تأويلي وعظي، فالنص من اللحظة الأولى يُستقبل بوصفه طرفة/نادرة هدفها الإضحاك والتندر، لا تقويم سلوك أو توجيه ديني.

ثانيًا: بنية الحكاية: تقوم هذه الحكاية على بنية مختزلة جدًا، لكنها محكمة من ناحية المفارقة، وتتكوّن من ثلاث حركات سردية:

- الادعاء: السائل يدّعي الفاقة بقوله: (إني جائع).
- التكذيب: رد صادم من الجمهور ينفي ادعاءه (قالوا له: كذبت).
- الرد الساخر: وهو اساس بنية المفارقة الذي يحمل الطرافة، قال: (جربوني برطلين من الخبز ورطلين من اللحم).

تتجلى المفارقة هنا في أن السائل يُطالب بتجريب جوعه لا بتقديم مساعدة رمزية، بل بوجبة محددة، ما يكشف كذبه بطريقة فكاهية معكوسة: اعترافه الضمني بترف طلبه وليس لحاجة بائسة.

ثالثًا: السخرية والوظيفة الفكاهية

تعتمد الحكاية على سخرية المفارقة الذكية، إذ يقلب المتسول الموقف لصالحه، ويحوّل التكذيب إلى حجة طريفة: إن كنتم لا تصدقون جوعي فاختبروني بطعام وافر!

ونلحظ أن عنصر المفاجأة يتولد من التناقض بين طبيعة المتسول كطالب صدقة، ومضمون طلبه الفاخر الذي يناسب موائد الأغنياء، فالحكاية تؤسس لنكته اجتماعية تكشف مفارقة في سلوك بعض المتسولين، من دون حاجة إلى تعليق من المؤلف أو توجيه أخلاقي مباشر.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

رابعًا: المؤلف والوعي السردي

إن إسناد الحكاية إلى أبي عثمان الجاحظ يحمل دلالة على محاولة إضفاء طابع أدبي ساخر مقبول، فالجاحظ معروف بخفة ظلّه وميله إلى استعمال النوادر في كتبه (كالبخلاء).

المؤلف لا يتدخل داخل الحكاية، لكنه بتقديمها ضمن باب (نوادر السؤال)، ثم نسبها للجاحظ، يُمارس نوعًا من الميتاسرد الصامت: توجيه غير مباشر لكيفية قراءة النص.

وبذلك يتضح أن الأبشيهي قد أتاح لنا عبر كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) صورةً مبكرة لوعيٍ كتابي يرتكز على آليات الميتاسرد، ويكشف عن إدراك فني مباين لطبيعة النص وحدوده.

الخاتمة

نلحظ مما سبق:

- إنّ كتاب المستطرف من كل فن مستظرف قد تجاوز وظيفته التوثيقية أو الموسوعية ليكشف عن وعيٍ سرديّ مبكر وخصب بالممارسة الميتاسردية في التراث العربي.
- استطاع الأبشيهي، منح نصوصه أبعادًا متعددة تجمع بين الجمالي والتأملي والتقييمي وذلك عبر تدخلاته الصريحة والضمنية.
- إنّ تنظيمه لبنية الكتاب، وتوجيهه للقارئ، وتعليقه على المادة السردية، كلها تمثل ممارسات سردية تتقاطع مع المفاهيم الحديثة للميتاسرد، مما يدلّ على نضج في الوعي البنائي والتأليفي قبل ظهور التنظيرات الغربية بزمن طويل، وبذلك يُعدُّ هذا الكتاب مثالًا تراثيًّا مهمًّا يستحق إعادة القراءة في ضوء مفاهيم السرد المعاصرة، لما يكشفه من تفاعل خلاق بين النص، والمؤلف، والمتلقي، ووعي النص بذاته بوصفه بنية سردية مفتوحة على التأويل والنقد.

الهوامش:

١ _ ينظر: Robert Scholes, Fabulation and Metafiction, University of Illinois Press. Nrbana- Chicago-Longon, 1979,p.114 نقلاً عن: احمد خريس، العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠١م: ٣٦.

٢ _ مجموعة مؤلفين، جماليات ما وراء القص – دراسات في رواة ما بعد الحداثة، ترجمة: أماني ابي رحمة، (د.ط)، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٠م: ١٣.

٣ _ ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط٢، الهيئة العامة للمطابع الاميرية، ١٩٩٧م: ١٢٠.

٤ _ ينظر: رسول محمد رسول، السرد المفتون بذاته من الكينونة المحضة الى الوجود المقروء، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ٢٠١٥م: ٤١.

٥ _ ينظر: م.ن: ٤١.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

٦ _ ينظر: فاضل ثامر، ميتاسرد ما بعد الحداثة، مجلة الكوفة، م٢، ع١، س١، جامعة الكوفة، ٢٠١٣م: ٧٧.

٧ _ ينظر: جيرالد برنس، علم السرد: الشكل والوظيفة في السرد، ترجمة: باسم صالح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م: ١٦٠.

٨ – جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م: ١٠٩.

٩ _ ينظر: محمد عزالدين التازي، مفهوم الروائية داخل النص الروائي العربي، مجلة الوحدة، ع ٤٩، س٥، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٨٨ م: ٩٦.

١٠ _ مفهوم الروائية داخل النص الروائي العربي:٩.

١١ _ سعيد يقطين، الميتاروائي في الخطاب الروائي الجديد في المغرب، مجلة مواقف، لبنان، ع: ٧٠–٧١، ١٩٩٣م:١٩١–١٩٢.

١٢ _ ينظر: ميتاسرد ما بعد الحداثة: ٦٤.

١٣ _ ينظر: منصور البلوي، المرايا المتعالية: الميتاسرد والكولاج في الرواية السعودية، دار أدب، الرياض، ٢٠٢٣ م: ٦١.

١٤ _ ينظر: المرايا المتعالية: ٦١.

١٥ _ ينظر: جميل لحمداني، الميتاسرد في القصة القصيرة بالمغرب، ٢٠١٨م، كتاب الكتروني www.alukah.net:٨.

١٦ _ ينظر: م.ن: ١٠.

١٧ _ علي عبد عتيق المالكي، الميتا سرد في الرواية العربية الحديثة رواية (وحي آلة كاتبة) للروائي المغربي يوسف كرماح أنموذجًا، المجلة العلمية بكلية الآداب، ع٥٧، المملكة العربية السعودية، ٢٠٢٤م: ١٦٣٧.

١٨ _ شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (ت: ٨٠٥هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق: محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ط٥، ٢٠٠٨م: ٧.

١٩ _ م.ن: ٧–٨.

٢٠ _ المستطرف من كل فن مستظرف: ٧–٨.

٢١ _ م.ن:٢٩٢.

٢٢ _ م.ن: ٢٩٣.

٢٣ _ م.ن: ٢٩٣–٢٩٤.

٢٤ _ م.ن:٢٩٤.

٢٥ _ م.ن: ٩٦–٩٧.

٢٦ _ م.ن: ١٠١.

٢٧ _ م.ن: ٤٤.

٢٨ _ م.ن: ٦٩٢.

٢٩ _ م.ن: ٦٩٤.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

المصادر والمراجع

- مجموعة مؤلفين، جماليات ما وراء القص – دراسات في رواة ما بعد الحداثة، ترجمة: أماني ابي رحمة، (د.ط)، دار نينوى، دمشق، ٢٠١٠م.
- خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط٢، الهيئة العامة للمطابع الاميرية، ١٩٩٧م.
- رسول محمد رسول، السرد المفتون بذاته من الكينونة المحضة الى الوجود المقروء، دائرة الثقافة والاعلام، الشارقة، ٢٠١٥.
- جيرالد برنس، علم السرد: الشكل والوظيفة في السرد، ترجمة: باسم صالح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٢م.
- احمد خريس، العوالم الميتاقصية في الرواية العربية، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠١م.
- جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة: السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- منصور البلوي، المرايا المتعالية: الميتاسرد والكولاج في الرواية السعودية، دار أدب، الرياض، ٢٠٢٣م.
- شهاب الدين محمد بن احمد الابشيهي (ت: ٨٠٥هـ)، المستطرف من كل فن مستظرف، ط٥، تحقيق: محمد خير طعمة الحلبي، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- محمد عزالدين التازي، مفهوم الروائية داخل النص الروائي العربي، مجلة الوحدة، ع ٤٩، س٥، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٨٨ م.
- د.علي عبد عتيق المالكي، الميتا سرد في الرواية العربية الحديثة رواية(وحي آلة كاتبة) للروائي المغربي يوسف كرماح أنموذجًا، المجلة العلمية بكلية الآداب، المملكة العربية السعودية، ع٥٧، ٢٠٢٤م.
- سعيد يقطين، الميتاروائي في الخطاب الروائي الجديد في المغرب، مجلة مواقف، لبنان، ع: ٧٠-٧١، ١٩٩٣م.
- جميل لحمداني، الميتاسرد في القصة القصيرة بالمغرب، ٢٠١٨م، كتاب الكتروني www.alukah.net.
- ميتاسرد ما بعد الحداثة، فاضل ثامر، مجلة الكوفة،م٢، ع٢، ٢٠١٣ م.

Sources and References

- Robert Scholes, Fabulation and Metafiction, University of Illinois Press. Nrbana-Chicago-Longon, 1979
- A group of authors, *Aesthetics Beyond Narrative: Studies in Postmodern Narrators*, translation. Amani Abi Rahma, (n.d.), Dar Ninawa for Studies, Publishing and Distribution, Damascus, Syria, 2010.
- Narrative Discourse: An Essay in Methodology*, Gérard Genette, translation. Muhammad Mu'tasim et al., 2nd ed., General Authority for Amiri Printing Presses, 1997.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003

- Dr. Rasoul Muhammad Rasoul, *Self-Fascinated Narrative: From Pure Being to Readable Existence*, 1st ed., Department of Culture and Information, Sharjah, 2015.
- Gerald Prince, *Narrative Science: Form and Function in Narrative*, translation. Dr. Basem Saleh, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiya, Beirut, Lebanon, 2012.
- Ahmad Khreis, *Metafictional Worlds in the Arabic Novel*, 1st ed., Dar al-Farabi, Beirut, Lebanon, 2001. Gerald Prince, Dictionary of Narratology*, 1st ed., translation. El-Sayed Imam, Merit Publishing and Information, Cairo, 2003.
- Dr. Mansour Al-Balawi, *Transcendental Mirrors: Metanarrative and Collage in the Saudi Novel*, 1st ed., Dar Adab Publishing and Distribution, Riyadh, 2023.
- Shihab Al-Din Muhammad ibn Ahmad Al-Abshihi (d. 805 AH), Al-Mustatraf min Kull Fann Mustazraf*, 5th ed., ed. Muhammad Khair Ta'ma Al-Halabi, Dar Al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon, 2008.
- Muhammad Izz Al-Din Al-Tazi, *The Concept of the Novel within the Arabic Novelistic Text*, *Al-Wahda Magazine*, no. 49, vol. 5, Rabat, National Council for Arab Culture, 1988.
- Dr. Ali Abdul Atiq Al-Maliki, Meta-narrative in the Modern Arabic Novel: The Novel "The Inspiration of a Typewriter" by the Moroccan Novelist Youssef Karmah as a Model, Scientific Journal of the College of Arts, Kingdom of Saudi Arabia, No. 57, 2024.
- Saeed Yaqteen, Meta-narrative in the New Novelistic Discourse in Morocco, Mawaqif Journal, Lebanon, Nos. 70-71, 1993.
- Jamil Lahmdani, Meta-narrative in the Short Story in Morocco, 1st ed., 2018, e-book www.alukah.net.
- Postmodern Meta-narrative, Fadel Thamer, Al-Kufa Journal, Vol. 2, No. 2, 2013.
- Robert Scholes, Fabulation and Metafiction, University of Illinois Press. Nrbana-Chicago-Longon, 1979.

ISSN: 2304-3717
ISSN online: 2312-8003